I. الأخلاق في العقيدة الهندوسية:

أصل كلمة "براهما" [1] يعود إلى العبادة عند الهنود، ثم تجاوز الاسم ذلك ليطلق على فئة ممن يتولون الشأن الديني(الكهنوت)، وهم أرقى فئات المجتمع وفق المعتقد الهندوسي، ومن ثم تطورت التسمية ليصبح "برهما" إله الآلهة عندهم.

ولكن الهنود رغم تقديسهم للخالق و تنزيهه والقول: إنه العالم بذاته سرمدا، إلا أنهم قالوا: إلا له واحد من ثلاثة آلهة يسمون: الثلاثة في واحد يسيطرون على الكون هم: براهما الخالق، و فشنو الحافظ، و شيفا المدمر.

أما "براهما" فسيد جميع الآلهة رغم أنه مهمل في شعائر العبادة الفعلية... وهو القوة الخالقة في الطبيعة... أما "فشنو" فهو إله الحب الذي ما أكثر ما ينقلب إنسانا ليتقدم بالعون إلى البشر... وأعظم ما يتجسد فيه "فشنو" هو شخصية كرشنا... يأتي بكثير من أعاجيب البطولة ومغامرات الغرام، يشفي الصم و العمي ويعاون المصابين بداء البرص، ويدود على الفقراء.

أما "شيفا" فعبادته من أقدم وأعمق وأبشع العناصر التي تتألف منها العقيدة الهندوسية... هو إله القسوة والتدمير[2].

هذا عن الإله، أما بالنسبة للكتب فأقدم ما عرف عندهم هو كتاب (الفيدا) وهو بالأصل مجموعة كتب تتضمن انطباعات الأريين وعقائدهم ومشاعرهم وأحاسيسهم... إنها تحكي ألهتهم وأدواتهم التي جلبوها من بلادهم مثل الحديد والخيول... وبهذا يعتبر "الفيدا" تاريخ الفكر الأري منذ عام 1800 ق م، ويعتقد الباحثون أن التدوين الفني لهذا الكتاب قد تم خلال سنة 600 ق م، وقد ألف "الفيدا" في الحقيقة كثير من رجال الدين الأريين باللغة السنسكريتية وبالشعر وبهذا لم يكن للفيدا مؤلف واحد[3].

وتنقل المصادر التاريخية أن أقدم كتب الفيدا أولها الرج فيدا، كلمة رج عادة تطلق على الشعر، وبذلك يكون اسم أول كتب الفيدا: أناشيد المعرفة الروحية إلا أن الشريعة الهندوسية استقرت بشكل شبه نهائي مع "كتا مانو" الذي

---

(1)– البيروني، الفلسفة الهندية، ب ط، المكتبة العصرية، ترجمة عبد الحليم محمد وعثمان عبد المنعم يوسف، بيروت، صيدا،ب ت، ص 87. وأنظر إلى محمد إسماعيل، الهند القديمة" حضارتها، وديانتها"،ب ط، دار الشعب،القاهرة، 1970،ص90 .وما بعدها، أنظر مظهر سليمان، بين السماء والأرض، ب ط، دار النهضة العربية،القاهرة، 1962، ص12.

(2) – مظهر سليمان، مرجع سابق ، ص28– 29.

(3) – محمد إسماعيل، مرجع سابق، ص98.

ألف حوالي 200 ق.م وعلى ضوء شريعة "مانو" [1]، يمكننا فهم التركيبة المجتمعية عند الهندوس وانعكاس ذلك على (علم الأخلاق).

في الوقوف عند الأخلاق الهندوسية يلاحظ أنها تركز على تزكية الروح والسعي ما أمكن للتقرب من الإله الخالق بالترفع عن الأهواء والشهوات، لأن مثل هذا السلوك يجعل النفس تكتسب سمة الحياة الخيرة عند حلولها في البدن.

وينقل البيروني فيما نسب إلى "براهما" عند هذا الموضوع: لابد للإنسان العداء والكن واللبس فلا يأتي به فيها. ولكن الراحة ليست إلا في ترك ما عداها من الفضول متاعب الأعمال. فاعبدوا الله خالصا، واسجدوا له، وتقربوا إليه في موضع العبادة بالتحف من الطيب و الزهر.

وسبحوه وألزموه قلوبكم حتى لا تزايله، وتصدقوا على البراهما وغيرهم وأنذروا إليه النذور الخاصة، ترك اللحم، والعامة كالصوم و الميوانات له، فلا تميزوها عنكم فتقتلوها، وأعلموا أنه كل شيء فما تعملونه فليكن لأجله، وإن تنعمتم من زخارف الدنيا فلا تنسوه في النية وإن غرضكم فيه التقوى والاقتدار على عبادته، فبهذا تنالون الخلاص دون غيره[2].

فالوصايا الأخلاقية البرهمية تقرب من زهد وتقشف الصوفيين، وهي ليست تهذيبا للسلوك فحسب، بل هي انقطاع عن الدنيا، وخلاص من نير الشهوات مقترنة بنظرة متساوية للمخلوقات الحية من إنسان وحيوان مما جعلوهم يمتنعون عن ذبح الحيوان وأكل لحمه، ولقد أدت الأخلاق الهندوسية إلى ما يسمى بنظام "اليوجا" المشهور عند الهنود، وكلمة يوجا لغويا معناها: النير ويقصدون بها الإنسان في نظام معيشته وسلوكه إلى نير التقشف وقمع الشهوة ليتحقق غرضه في تطهير الروح من أدران المادة لأن هذه الأخيرة هي أساس الألم والجهل فاليوجا هي تحرير النفس من خلال رياضات بدنية ونفسية، تتسم غالبا بطابع القسوة والشدة، من كل ما هو مادي، حسي، فهي عندهم السبيل الرئيسي للخلاص الإنسان وبلوغه أفضل كمالاته.

الروح دون العقل عند الهندوس هي الضابط المهذب لسلوك الإنسان، وتطهيرها، لا ازدياد المعرفة العقلية، هي الهدف الأسمى، على أساس هذا المفهوم يمكننا تلخيص الفلسفة الخلقية البرهمية على الوجه الآتي:

---

(1)– مانو: حكيم هندي عاش في القرن الثالث قبل الميلاد وقد عالج أوجه الحياة للهندوس المتدينين في كتابه (مانو سمهيت) أي قرائن مانو.

(2)– البيروني،مرجع سابق، ص69.

إن التدليل العقلي أقل جدارة بالركون إليه في هدايتنا إلى الحقيقة والصواب، من إدراك الفرد وشعوره المباشرين إنما أعد الفرد إعدادا صحيحا لاستقباله العوامل الروحية، وأرهقت نفسه إرهاقا باصطناع الزهد والتزام الطاعة مدى أعوام لمن يقومون على تهذيب نفسه وأن الغاية من المعرفة ومن الفلسفة ليت هي السيطرة على العالم بقدر ما هي الخلاص منه إن هدف الفكر هو التماس الحرية من الألم المصاحب لخيبة الشهوات في أن تجد إشباعها وذلك التحرر من الشهوات نفسها [1].

هذه الطروحات في أهمية تطهير النفس من المادة، واعتبار إشباع الشهوات سبيل الألم والشقاء كان لها صداها فيما بعد في نظام الرهبنة المسيحي، وكذلك في السلوك الصوفي عند المسلمين حيث يتداول المتصرفون والقول المأثور (الشهوة حجاب بين العبد وربه).

ليث المعرفة بحدود البحث العقلي و التبصر بذات قيمة مهمة في نظر الهندوس بل قد تستخدم المعرفة العقلية كاقتدار على تحصيل المتطلبات البدنية، لذا نرى أن الهنود لم يكثروا من التنظير الفكري البحث في ميدان الأخلاق والسلوك، بقدر ما ركزوا اهتمامهم على الممارسة العملية للرياضيات والمجاهدات البدنية والنفسية، ويؤكد لنا ما نقوله عدم بروز أسماء متعددة في ميدان الفلسفة، وترك الآثار النظرية لدرجة أن كتبهم الفيدا المقدسة جهل كاتبها.

إن السلوك الخلقي الفاضل عندهم ليس ذلك الذي يتمتع صاحبه بالمعرفة الواسعة وإنما بالسلوك الزاهد المحصن من الشرور المادة، وعندهم: إن (الوصول إلى الخلاص بالعلم لا يكون إلا بالانتزاع [2] عن الشر) ففروعه على كثرتها راجعة إلى الطمع والغضب والجهل، وبقطع الأصول تذبل الفروع ومدار ذلك إماتة قوتي الشهوة والغضب اللتين هما أعدى عدو و أوبقه للإنسان [3] ، يغرانه باللذة في المطاعم والراحة في الانتقام وهما بالتأدية على الألأم والآثام أولى، و بهما يشابه الإنسان السباع والبهائم، بل الشياطين والأبالسة وعلى إثار القوة النطقية العقلية التي بها يشابه الملائكة المقربين وعلى الإعراض عن أعمال الدنيا، وليس يقدر على تركها إلا برخص أسبابها مع الحرص والغلبة [4].

---

(1)– ديورانت ول وايل، قصة الحضارة "نشأة الحضارة شرق الأدنى"، ج3، ط2، دار الجيل للنشر والتوزيع، ترجمة زكي نجيب محمود، القاهرة، 1957، ص 249.

(2)– الانتزاع: الكف و الامتناع.

(3)– اوبق من أبق العبد: هرب من سيده وأنكره.

(4)– البيروني،مرجع سا بق،ص65.

ولكن الوصول إلى الخلاص وتطهير النفس لا يكون إلا إذا تعلق الفكر الإنساني وقلبه بالخالق، عندها يكون هذا الارتباط نورا لقلبه يهتدي به ويمنحه ثبات الخطر في وجه أعاصير الشهوات وإغراءات الحسيات فتري الإنسان في هذه الحالة متفاعلا عما يحيط به من أصناف اللذة والألم، وذلك بسبب اشتداده كليا، وتعلقه بالخالق.

فطريق الخلاص هو إهمال البدن وقواه والانصراف بالكلية إلى الروح وتزكيتها وتطهيرها، وما جاء في وصايا الهندوس، التي تعزز هذا المنهج قولهم (إن كنت تريد الخير المحض فاحرص أبواب بدنك و اعرف الوالج فيها والخارج منها، واحبس فؤادك عن نشر أفكاره ... ولا تر الإحساس طباعا في ألآلات الحواس حتى لا تتبعه) والقسم الثاني: العقلي بمعرفة سوء المواجهات المتغيرة والصور الفانية حتى ينفر القلب عنها، وينقطع الطمع دونها .... وذلك أن المحيط بأحوال الدنيا يعلم أن خيرها شر راحتها مستحيلة في المكافأة إلى شدة فيعـــرض عما يؤكد الارتباك ويولد المقام [1].

إن هذا التشريع الأخلاقي الصارم في العقيدة الهندوسية الذي يستلزم مداومة ممارسة العبادات وعدم التعلق بزينة الدنيا وارتبط عندهم بنظام طبقي جائر عزوه إلى الطبيعة والفطرة، وذلك فأخلاق كل شخص تكون فاضلة بمقدار إلزامه بقواعد مسلكية في حياته حددها له موقعه في طبقته بحيث باتت المقولة السائدة عندهم:(خير لك أن تؤدي عملك المقسوم لكل أداء سيئا من أن تؤدي عملا مقسوما لغيرك أداء حسنا لقد تأصل هذا النظام الطبقي في حياة الهندوس وصار الفرد منهم يحسه و كأنه جزءا لا يتجزأ من نظام حياته ولقد بلغ هذا التصور للأخلاق من الرسوخ في القدم مبلغا جعل من المتعذر على الهندوس جميعا، ومن المستحيل على الكثرة الغالبة منهم أن ينظروا إلى أنفسهم نظرة لا تجعلهم أعضاء طبقة معينة تهديهم و تقيدهم قوانينها [2].

أما بالنسبة للنظام الطبقي عند الهندوس فإنهم قد قسموا المجتمع إلى أربع طبقات:

I. **1– البراهمة:** وهم أعلى الطبقات ترتيبا، وهم رجال الدين مهمتهم الإشراف على المعابد وأداء الطقوس والشعائر الدينية، وسن القوانين، والإشراف على التربية و التعليم.

I. **2– كشتر:** وهم الطبقة التي تلي البراهمة ولا يبعدون عنهم كثيرا من حيث المستوى، لأن هؤلاء هم الأشراف، وقواد الجيش والفرسان المدافعون عن البلاد ومن هذه الطبقة يتشكل حكام البلاد وساستها وحراسها.

---

(1)– نفسه، ص70.

(2)– ديورانت ويل وايل،مرجع سابق،ص 171.

I. **3- فايشاش:** وهذه الفئة تضم المزارعين والتجار وأصحاب المهن.

I. **4- شودار:** وهم أصحاب المهن الحقيرة والبسيطة كالخدمة وسواها ومن أعمالهم غسل الملابس، أعمال النظافة ويسمونهم بالمنبوذين وعلى ضوء موقع كل فئة أو طبقة في المجتمع حددوا لها سمة خلقية عامة وعندما تحدثوا عما يجب أن تتخلق به كل طبقة من الطبقات قالوا : (يجب أن يكون البراهمي وافر العقل ساكن القلب، صادق اللهجة ،ظاهر الاحتمال، ضابطا للحواس، مؤثرا للعدول، بادي النظافة... مقبلا على العبادة مصروف الهمة إلى الديانة، وأن يكون كشتر مهيبا في القلوب، شجاعا متعاضما، ذلق اللسان، سمح اليد، غير مبال بالشدائد، حريصا على تسيير الخطوب، و أن يكون بيشا (فايشاش) مشتغلا بالفلاحة، و اقتناء السوائم [1] والتجارة، و شودر مجتهدا في الخدمة والتملق [2] متحببا إلى كل أحد بها [3].

لم يكن ممكنا ترسيخ هده الصيغة الطبقية الجائرة في حق الغالبة من سكان المجتمع لو لم يخترع كهنة البراهمة من أجل (استحكام هذه القوانين الصارمة الظالمة وتحصينها وتثبيتها وترسيخها عقيدة تسمي التناسخ، تلك التي تقنع الجماعات كلها بأن هذه الطبقات ظهرت من جراء أعمالهم في الحياة الأولى نتيجة لها [4].

فالإنسان عند موته تنتقل نفسه لتوها إلى جسد طفل ولد لحظة وفاته، وعلى هذا الأساس هذه القاعدة لا شيء اسمه اليوم الأخرى في عقيدة الهندوس و إنما ربطوا الثواب بعد الموت بعملية التناسخ التي جعلوها حلا لمشكلة مصير النفس بعد موت البدن في عقيدتهم، وفي الوقت نفسه مخرجا لتلك الطبقة التي أراد البراهمة ترسيخها ليبقوا على امتيازاتهم، ويقنعوا الناس أنهم وحدهم يتمتعون بنقاوة الجنس التي تجير لهم الاشتراك مع الآلهة في إدارة شؤون العالم.

ويلخص أبو الريحان البيروني عقيدتهم بالتناسخ في قوله: (إن من استحق الاعتلاء والتواب، فإنه يصير كأحد الملائكة ، مخالطا للمجامع الروحانية، غير محجوب عن التصرف في السموات والكون من أهلها .... وأما من استحق السفول بالأوزار و الآثام، فغنه يصير حيوانا أو نباتا ويتردد إلى أن يستحق ثوابا فينجو من الشدة أو يعقل ذاته فيخلي مركبه يخلص.

وقال بعض من مال إلى التناسخ من المتكاملين، إنه على أربع مراتب: هي النسخ، وهو النوالد بين الناس، لأنه ينسخ من شخص أخر، وهذا المسخ و يخص الناس، بأن يمسخوا قردة وخنازير وفيلة، و الرسخ كالنبات وهو أشد من

---

(1)- السوائم: الماشية والإبل الراعية.

(2)- التملق: التودد والتذلل، وأن يقول باللسان من كلام الود والإكرام ما ليس في قلبه.

(3)- البيروني، مرجع سابق، ص89.

(4)- محمد إسماعيل،المرجع السابق، ص 102- 103.

النسخ لأنه يرسخ ويبقي على الأيام ويدوم كالجبال و ضده الفسخ، وهو النبات المقطوع والمذبوحات لأنها تتلاشي ولا تعقب [1].

قبل أن نختم الحديث عن البراهمية أو الهندوكية لا بد من القول: إن الزهد عندهم مخالف للطبيعة البشرية لأن الله تعالي أودع في الإنسان الغرائز ولم يطلب منه قمعها و إنما تنظم، وتقنين إشباعها بما يحفظ له إنسانيته كما أننا نشير إلى سلبية هذا النظام الطبقي الذي جعل من المواطن عضوا منذ الولادة في طبقة لا يحق له تجاوزها وفي هذا ظلم وقضاء على الطموح إعاقة لديناميكية المجتمع أضف إلى ذلك فساد المعتقد في التناسخ الذي نتج عنه محاولة تبرير للنظام الطبقي المجتمعي، مما يجعل مثل هذه المعتقدات غير مجدية كثيرا في ميدان علم الأخلاق، لهم إلا ذلك الجانب العملي في الأعراض عن الهوى والشهوات الذي يعطي نموذجا لا بأس به في جانب الأخلاق العملية.

(1)– البيروني، مرجع سابق، ص59.

II. الأخلاق في العقيدة البوذية:

تحرير النفس من الشهوات وقيادتها نحو عالم السلام.

«يا من خلصت نفسك عمل على خلاص الآخرين وإذا كنت قد وصلت إلى بر الأمان فساعد الآخرين على أن يعبروا».

هذه الحكمة البوذية انبعثت العقيدة البوذية من شمال الهند من إقليم نيبال حيث كانت قبائل الساكيا وكان باعثها حكيم من أصل نبيل حيث كان والده راجا وقد أطلق عليه بعد أن أعلن رسالته الفلسفية اسم بوذا، ومعنى هذه الكلمة الملهم أو العارف بالحقائق أو صاحب الإشراق كما أن النصوص تذكر أحيانا بأسماء أخرى مثل (ساكيا موني Sakya muni) ومعناها حكيم الساكيا، و (بها جافات Blagavat) ومعناها السعيد، و (جينا Jina) ومعناها المنتصر وليس من سبيل لأن نفصل مذهب بوذا عن حياته فإن حياته تصور أروع التصوير وابلغه تفاصيل هذا المذهب، عاش بوذا في القرن السادس قبل الميلاد من حوالي عام 560 إلى عام 408، أي أنه كان معاصرا لكازينو فوق الفيلسوف اليوناني، "و كونفشيوس" حكيم الصين. وكان الاسم الذي تلقاه عند ولادته هو (سيدهارثا Sidhartha) وتربي في بيئة الترف، وعاش عيشة الأغنياء واختلط بملذاتهم حتى سن الرابعة والعشرين ولكن لم تمنعه حياة الترف التي عاش فيها من الإحسان ببؤس الناس وتعاستهم، ويقال إن أول إشعاع من قبس الهداية والحكمة دخل في نفسه، كان على أثر ما وقع عليه بصره في الطريق عند خروجه في عربته للنزهة، ففي أربع مرات متواليه وقع بصره على عجوز بائس، ومريض ملقى إلى جانب الطريق، وجثة فقير هلك جوعا، ومتسول يسأل الناس دون أن يعطره، عندئذ تملكه شعور قوي بما تعانيه الإنسانية من الأم، كما أخد يدرك ما تنطوي عليه حياة الشباب وحياة اللهو من أخطار، وتمثل بوضوح، أن الشيخوخة والموت قريبان مهما أطال أمدهما [1]، فترك زوجته وولده، وهجر منزله بحثا عن الوسيلة التي توصله إلى خلاص نفسه وخلاص الإنسانية من ألامها، وهام على وجهه يبحث عن الحقيقة و يعيش عيشة الزهد بين نساك البراهمة [*]، واخضع جسمه لرياضيات تساقه من الصوم والحرمان، وكان أحيانا يمتنع عن الجلوس، ويضل قاعدا القرفصاء لنومه مرقدا من الأخشاب كما أنه يتغذى طول يومه بحبات من الأرز وقبل حبة واحدة وضل على هذه الحال سبع سنوات حتى كاد ييأس إذا بالرغم من كل هذه المشاق فإنه لم يشعر بأنه حقق لنفسه السلام، فاقتنع بأن تعذيب البدن لا طائل تحته، وأن حياة الحرمان لا تزيد في قيمتها عن حياة اللهو التي

---

(1)– عبد الوهاب جعفر، مرجع سابق،ص 63– 64. انظر إلى السيد محمد بدوي، مرجع سابق ، ص23، 24.

*** البراهمة: هم رجال الدين الهندوس.**

عاشتها[1] من قبل وأخيرا أوضحت له الحقيقة في ليلة إشراق، واستطاع أن يذوق الطمأنينة الخلاص من بعد أن دفع نفسه إغراء المارا (Mara)* الذي دعاه لكي يدخل دون انتظار النيرفانا** عن طريق التخلص من الحياة ولكنه صمم على أن يظل بين الناس ليعرفهم بالحقيقة التي وصل إلى اكتشافها وهي أن الخلاص سبب في الموت كما كان يعتقد أولا بالموت لا يخلص الزاهد إلا نفسه ولكن رسالته الحقيقية هي العمل على خلاص الآخرين كم أدرك ذلك أن قيمة السعادة الروحية هي في انتهاج طريق وسط إذا يقول هناك طرفان يجب على كل من يريد أن يحيا حياة روحية أن يستمد عنهما حياة اللهو وهي وضيعة تافهة ومخالفة للعقل والأخر حياة الزهد والحرمان وهي كئيبة لا طائل منها تحتها والحكيم من يكشف الطريق الذي يمر بين هذين، وهو الطريق الذي يسر النظر والعقل ويؤدي إلى النيرفانا أي الطمأنينة والسلام[2].

وتذكرنا (فكرة الطريق الوسيط) هذه بما جاء في فلسفة "أرسطو" فيما بعد ذلك أن سر الحياة الأخلاقية يكمن في تحقيق «الوسط العادل».

ففي كل ظرف من ظروف الحياة هناك إفراط يجب تجنبه ونقص يجب تلافيه والفضيلة وسط بين الاثنين، وقد عنى "أرسطو" بتسطير قائمة مفصلة للرذائل التي تنجم عن الإفراط، والرذائل التي تنجم عن التقصير ومن النوع الأول: التهور والمجنون، الكبرياء، والحمق، والتملق، ومن النوع الثاني الجين، وتبلد الإحساس والشح وخطة النفس، و الانزواد.

أما الفضائل التي تتوسط هذين الطرفين فهي: الشجاعة والاعتدال والكرم والتسامح والتودد، وإن من يعيش وفقا لمبدأ التوسط في الأمور، قد لا يحقق لنفسه نشوة حياة التأمل الخالص، ولكنه يضمن لنفسه حياة التوازن السعيد، تحت سيطرة العقل وهو مع ذلك لا يحرم من المتعة واللذة، فاللذة شعور يضاف إلى كل عمل خير فبجملة، كما تضاف الزهرة إلى الشباب فتزيد من جماله.

وحين امتلك "بوذا" ناصية الحقيقة، كرس جميع جهوده لنشرها بين الناس، وقضى بقية حياته حتى سن الثمانين يحاول هداية كل من يراه إلى طريق الحق والسلام: ولم تصادق دعوته أي نوع من الاضطهاد بل على العكس كان

---

(1)– حسين عبد الحميدو أحمد رشوان، مرجع سابق ، ص57.

*** (Mara): شيطان الإغراء.**

**** النيرفانا: دار السلام والطمأنينة.**

(2)– عبد الوهاب جعفر، مرجع سابق،ص65.

الحكام وكبار التجار يلقونه أحسن اللقاء ويعرضون عليه منحا كثيرة كان يمنحها للفقراء، وانتشرت البوذية بسرعة عظيمة في الهند ثم توقف تيارها ردحا من الزمن لكي تعود لانتشار في أجزاء كبيرة في آسيا [1]

II. 1- تعاليم بوذا:

لم يصلنا من أقوال بوذا في شكلها الأصلي إلا القليل، ولكن هناك إجماع على المعاني التي عبر عنها في وعظة[2] ،الأول في مدينة "بنارس" ونلاحظ إن أقواله قد خلت من الخوض في المسائل الميتافزيقية فلم يتعرض لصفات الإلوهية، ولا للمسائل الكونية، بل انه لم يحاول أن يناقش الأحكام الدينية أو الشعائر الـــتي وردت في مجموعة (الفيدا VEDA)*.

و قد اقتنع بوذا بان البراهمة، الذين يشكلون أنفسهم بالآلهة، وعليهم يقع عبء تنظيم العلاقات بين الكائن المقدس والكائن الإنساني من ألامها، ولدا فهو يهتم بالكائنات الإنسانية دون آن يشغل نفسه بفكرة الكينونة في ذاتها.

و يرى بوذا أن أصل الشر الذي يجب أن ينقد منه الإنسانية مزدوج فهو أولا في "الوجود"على أن نفهم من هذه الكلمة معنى الخضوع للحسيات وثانيا في "الجهل" الذي يجعلنا نأخذ المظهر على أنه المظهر على انه الجوهر.

ويمكن أن نلخص مظهر بوذا بالرجوع إلى الحقائق الأربعة المقدسة التي نطق بها في وعظ "بنارس".

1- «أيها الأتباع هاكم الحقيقة المقدسة عن الألم، إن ولادة الإنسان الم، والشيخوخة الم، والمرض الم، واتخاذ الإنسان بمن لا يحب الم وافتراقه عمن يحب الم وملذات الحس والتصورات الوهمية كله الم».

2- «أيها الأتباع هاكم الحقيقة المقدسة عن أصل الألم: إنه التعطش لكل ما يتصل للملذات، والتعطش للجاه والسلطان».

3- «أيها الأتباع هاكم الحقيقة المقدسة عن سر القضاء على الألم: إنه في إخماد هذا التعطش بالقضاء الرغبة والتخلص منها وعدم السماح لها بأن تسيطر على نفوسنا».

---

(1)– السيد محمد بدوي، مرجع سابق، ص 25، 26، انظر إلى حسين عبد الحميد أحمد رشوان، مرجع سابق، ص 58.

(2)– نفسه، ص26– 27.

4-« أيها الأتباع هاكم الحقيقة المقدسة عن الطريق الذي يوصلنا إلى القضاء على الألم: إنه الطريق المقدس ذو الشعب الثمانية: إيمان صادق، ورغبة أكيدة، ولسان عف، وعمل صالح، وحياة خالصة من الوسائل الدنيئة، و تفان في الخدمة، وانتباه لمصادر الحكمة، وتأمل في معانيها»[1].

فالحقائق الأربعة الكبرى في فلسفة بوذا، هي أن الوجود بنطوي على الألم، إن الألم إلا إذا أخمدنا في نفوسنا كل شهوة، وإخماد الشهوات ل يكون إلا إتباع طريق الحكمة الذي يوصلنا إلى الخلاص أو التحرر الأبدي أو "الفيرفانا".

ولكن ما هي الطرق العملية التي يتبعها الإنسان للوصول إلى أسمى درجات السعادة وهي الخلاص من سيطرة شهوات النفس؟ وكيف يعرف أنه ينهج الصحيح الذي يوصله في النهاية إلى "النيرفانا".

إن أول الخطوات هي التفاني وإنكار الذات، ذهب أحد الأتباع إلى بوذا وطلب إليه أن يرسله إلى إحدى القبائل المتوحشة فقال له بوذا «ولكنهم أشقياء، وسوف يسبونك » فأجاب الفقير: «إن سبهم لي سيجعلني أعتقد أنهم من الطيبة بحيث لم يضربوني ». قال بوذا: «ولكنهم سينقذونك بالحجارة، وسيعتدون عليك بأيديهم » فأجاب الفقير: «سأقول إنهم أشفقوا عليا حيث خلصوني دون عناء من الجسد المليء بالأدران » بهذه الإجابات اقتنع بوذا أن تابعه قد قطع شوطا بعيدا في طريق[2] الخلاص وقال له: «اذهب يا من خلصت نفسك وخلص الآخرين».

*** الفيدا VEDA :«وهي مجموعة كبيرة من النصوص الهندية القديمة التي تضم التراث العقلي للهند ومعنى كلمة "فيدا" المعرفة ولكن يقصد بها اسمي أنواع المعرفة وهي المعرفة التي تتصل بالروحانية والكائنات المقدسة وهي النصوص وان كانت ترجع إلى أصول وتواريخ مختلفة وتعبر عن اتجاهات فكرية متباينة إلا أن التقاليد الهندية تنظر إليها على أنها صادرة عن وحي الهي ويرى مؤرخوا الفلسفة الهندية، إن هذه المجموعة من النصوص هي المصدر البعيد الذي استمدت منه بعض العناصر».**

(2) – السيد محمد بدوي،مرجع سابق، ص 28. انظر إلى عبد الوهاب جعفر، مرجع سابق، ص68.

II. 2- النظام الأخلاقي للبوذية:

الجزء الخصب في البوذية هو مذهبنا في الأخلاق وإصلاح المجتمع وتحقيق ما فيه من شقاء، فقد لاحظ بوذا أن هذه الحياة تحوطها الأكدار والألأم من كل جانب، بل إنها الأم تشبعها الأحزان تشقق المرائر وتجعل كل إنسان في نقص دائم وبلبل مستمر، ولاحظ أن منشأ تلك الآلام التي طم سيلها في هذه الحياة هي الذات والأماني التي تبعثها الرغبات التي استحوذت عليها الملاذ والشهوات.[1]

فاللذات في عقباها الآلام، وان تطلعت النفس إليها و تمنتها كان في الحرمان آلام أيضا، فلولا أتبعات اللذات، ما كانت الآلام ولولا استهواء الأماني التي تبعتها اللذات ما كانت آلام الحرمان، لذلك كان لابد لمحو الآلام من القضاء على أصلها، والنبعة التي نبعت فيها وذلك يكون بالقضاء على الذات وأمالها وأمانيها:

هذا النظام المشكي الأخلاقي يحتاج إلى تطهير باطن الإنسان وذلك سلامة النية، فالنية مفتاح الصلاح لأنها قاعدة القرار الذاتي للإنسان، والقرار الذاتي بالخلاص هو الدافع نحو انجاز هذا الطريق، تبدأ الحكاية مع رهبات البوذية أنفسهم الذين يرتدون الثياب ذات اللون الأصفر لتعبرعن إشراقه نفوسهم، فهؤلاء يحتاجون لطهارة الباطن أولا، كما يشترط النص في دراما* والذين يردون ارتداء الثياب الصفراء عليهم أن يطهروا ابدأنهم من الباطن، وإلا فإن هم لا يستحقون ارتداء هذه الثياب والشديد على النية والفكر لأن العمل هو الترجمة لما في الذات لذلك بالنية السليمة والفكر السليم سبيلان للعمل الصالح.[2]

أ. الاتجاه الصحيح المستقيم: بأن يتجه إل أي أمر يريده اتجاها صحيحا مستقيما خاليا من كل سلطة للشهوة واللذة وما تبعته من أمان وأحلام فاسدة، فيجتهد عند الاتجاه إلى أي أمر في أن يخلص إرادته من شائبة اللذات أو الشهوات، وما يتصل بها من أمال وأحلام تثيرها، وفي الجملة ينبغي نفسه من كل ما يتصل باللذة عند الاتجاه.[3]

ب. الإشراق الصحيح المستقيم: وذلك أن الإنسان عند الاتجاه إلى أمر من الأمور اتجاها مستقيما خاليا من شوائب اللذات، تعتريه نورانية تجعله يستطيع الوصول إلى الحقائق الأشياء من غير أن يرفق نظره إلى أي درن من أدران اللذة، ولا يرين على عقله.

---

(1)– محمد أبو زهرة، مقارنات الأديان "الديانات القديمة"، ط1، دار الفكر العربي ملتزم للطبع والنشر، 2000، ص 60– 61.

*** دارما: الطريق إلى الذين البوذي.**

(2)– موسوعة الأديان في العالم، الديانات القديمة، ط1، 2000، ص 213.

(3)– محمد أبو زهرة: المرجع السابق، ص 61، 62.

ج. التفكير الصحيح المستقيم: وذلك أن العقل إن خلا من الشوائب اللذة، ونال الإشراق الصحيح كان تفكيره مستقيما، وكانت العمليات العقلية التي يقوم بها في التفكير هذا الأمر مستقيمة لا تؤثر فيها نزعة هوى، ولا جموح شهوة ولا اضطراب الأماني والأحلام في قلبه.

د. ولا شك أن هذه المستقيمات الثلاثة السابقة: الاتجاه المستقيم والإشراق المستقيم، والتفكير المستقيم، يترتب عليها أمر رابع مستقيم، وهو اطمئنان العقل والقلب إلى فكرة خاصة من بين ما يعرف لها من أفكار والآراء والأنظار، وذلك هو الإيمان المستقيم أو الاعتقاد المستقيم الذي يصحبه ارتياح واطمئنان، وبه يصير القلب في روح وريحان من النعيم المعنوي.

هـ. والذي يتمم الأمور الأربعة السابقة لفظ مستقيم : وذلك بأن يكون نطق الإنسان بها انتهى إليه من فكرة مطابقة تمام المطابقة لاعتقاده، ولما ارتاح أليه، وعمر قلبه بالسرور به.

و. السلوك المستقيم: وذلك هو الأمر السادس الذي لابد منه لسلوك الممر الوسط والسلوك المستقيم ما يكون مطابقا لكل ما قام بالقلب من اعتقاد فيكون العمل على وفق العلم فلا مجافاة بينهما، ولا مناقضة بل يكون كل منهما مؤكدا للأخر أو متمما له.

ز. الحياة الصحيحة: بأن يكون قوامها مجر اللذات هجرا تاما وأن يكون كل ما يجري فيها متطابقا مع السلوك القويم، والعلم الصحيح، ولا يشد فيها شيء عن مقتضى هذا السلوك وأحكامه.

ط. الجهد الصحيح: وذلك بان يكون كل الجهود التي يبذلها الإنسان في سبيل أن تكون الحياة مستقيمة سائرة على مقتضى السلوك، والعلم، والحق، ومنع ما كان له صلة باللذات، أو من شأنه أن يثير دواعيها ويحفز إليها.

هذه الأمور التي لو تمت على وجه مستقيم سار الشخص على الجادة أو سلك الممر الوسط الذي يوصل إلى حياة سعيدة خالية من الآلام خلوها من دواعيها.

وإن كان في هذا الكلام شيء من الخير فهو في مقاربته في بعض نواحيه إلى ما يرمي إليه الحديث الشريف «لا يؤمن أحدكم حتى يحب الشيء لا يحبه إلا الله » بأن يحب الشيء خاليا في محبتـــه له مـــن كل شوائـــب الأغـــراض

و الأهواد قاصدا بمحبته وجه الله سبحانه وتعالى، وذلك في جملته يقترب منه في الاتجاه الصحيح وإن كان معنى الحديث أسمى وأدق وأحكم.[1]

غير أن مؤرخو البوذية ومنهم "أولدبنرج" حاول تبسيط عرض الفكرة الأخلاقية وفي هذا المذهب، فقسم الحياة الأخلاقية كما يتصورها إلى ثلاثة مراحل، الاستقامة و التأمل والحكمة.

1. الاستقامة: وهي الخطوة التمهيدية التي يجب أن يبدأها التابع، ويلاحظ أن هذه الاستقامة تتخذ شكلا سلبيا يتلخص في الابتعاد عن كل دنس أما تفاصيلها العملية فهي:

1- «لا تقتل كائنا حيا» وهذه القاعدة من القواعد التي تظهر في كل فلسفة هندية واحترام الحياة يجب أن يمتد إلى أي مخلوق مهما كان تافها حتى ولو كان دودة أو نملة كما أن هذه القاعدة تتصل ببعض الشعائر التي تحرم شرب الماء إذا كان يحتوي على أثر من أثار الحياة الحيوانية، وتحرم ليس الملابس الحريرية.

2- «لا تأخذ ما ل يخصك» وهده القاعدة تنتمي إلى نبذ الامتلاك وإتباع بوذا يجب أن يقنعوا بالحاجات الضرورية التي تحتفظ لهم حياتهم.

3- «ولا تنظر إلى زوجة غيرك » وهذه القاعدة تنتمي إلى التعفف المطلق وقد ساعد على ذلك اعتبار النساء، في المذاهب البوذي، في مرتبة دنيا والنظر إليهن على أنهم ألم خطر يهد سعادة الإنسان.

4- «ولا تقل ما لا تعتقد أنه الحق» ويدخل تحت هذه القاعدة تفاصيل دقيقة عن أنواع الكذب، ومنها الوشاية التي تفسد بين الأصدقاء.

5- «لا تشرب مشروبات مسكرة» حتى ولو بمقدار قليل أو بقصد الدواء.

ملاحظة: نلاحظ أن جميع هذه القواعد تقترب كثيرا مما ورد في الديانتين المسيحية والإسلامية، ولكن الفرق بين هذه الديانات السماوية تحث على عمل الخير للتقرب إلى الله، أما البوذية فإن هدفها الأساس خلاص الإنسان من رتبة الشهوات والوصول إلى حالة السلام والطمأنينة.

---

(1)– محمد أبو زهرة،مرجع سابق، ص 62– 63.

2. التأمل: وهو المرحلة الثانية التي يعود فيها من يصبوا إلى الحكمة إلى نفسه بعد أن أستطاع تهذيبها بالاستقامة، وموقف الحكم إزاء النفس موقف هام، فإذا كان الأمر يتعلق بالذات الحسية التي تتمثل في الجسم وتختلط بالعالم فإن هذا الذات عرض زائل، وحياة الطهر تقتض التخلص من قيود هذه اللذات، وعن طريق التظهير تظهر لنا الذات الحقيقية وكما لها يعد أثمن ثمرات التأمل.

ولما كان عالم الظواهر عالم وهمي، وأن الإنسان لا يقترب من الخلاص إلا بقدر إدراكه لتلك الحقيقة، فإن حياة التأمل (Dhyane) تصبح أسمى الفضائل في المذهب البوذي وحياة التأمل تقتضي الانصراف عن كل الشهوات المادية، والوصول إلى مرحلة تأمل الصرف ليس بالأمر الذي يسهل مناله.[1]

ولذا وجب التمهيد لها بتهذيب النفس حسب ما ذكرناه في المرحلة السابقة.

ملاحظة: يذهب فلاسفة الأخلاق. وخصوصا الدينيون منهم. إلى القول بأن المذهب البوذي في الأخلاق ذو طابع سلبي: لأنه يقوم على نفس كل قيمة للأشياء الدنيوية، وعلى جعل التأمل الذاتي شرطا أساسيا للوصول إلى الخلاص أو سعادة النفس، وجميع لفاصليه تقريبا نقوم على النواهي، أي على الابتعاد عن الأشياء معينة، لا على أوامر ايجابية، أي أنه يأمر الإنسان بألا يفعل الشر أكثر من أن يأمره بفعل الخير وإذا كان في ذلك ما يؤدي إلى طمأنينة النفس حقا، إلا أن هذه السلبية تبتعد بهذا المذهب عن حذرة العاطفة كما أنها تقترب بأنظار البوذية من حاله عدم الاكتراث بما يدور حول المرء من أحداث.

ولتسهيل الوصول إلى حالة التأمل يستخدم المذهب البوذي على غرار المذاهب الهندية الأخرى عدة وسائل مادية يطلق عليها اسم "اليوجا" * فعلى الحكيم أن يفيد ذاته المادية حتى يكبح جمادها، وقد يحكم على نفسه بتجنب كل حركة عضلية حتى لا يعوق تأمله، وإذا كانت اليوجا عنده بدء ممارسة الحكيم لها نظاما صارما للتحكم في النفس إلا أن الغرض الحقيقي من هذا الترويض البدني، هو الصعود في مدارج حياة التأمل الصرف.

وتقول النصوص الهندية أن بوذا نفسه قد مر بأربع مراحل من التأمل قبل وصوله إلى حالة الإشراق، وتتصل هذه المراحل الأربعة بنظام اليوجا.

---

(1)– عبد الوهاب جعفر، مرجع سابق، ص 68– 69–70. انظر إلى السيد محمد البدوي، مرجع سابق، ص29– 30.

*** اليوجا: معناها القيد Leyoug: هي وسائل مادية يستخدمها البوذيون لتسهل الوصول إلى حالة التأمل.**

ففي المرحلة الأولى يتعلم الإنسان كيف يتحكم في حواسه، وفي المرحلة الثانية يتحكم في خياله وفي الثالثة في شعوره وفي الرابعة يتعلم كيف يجني ثمرة هذا الارتقاء الروحي.

3. الحكمة: المرحلة النهائية في المذهب البوذي هي الوصول إلى الحكمة وتتخلص الحكمة في فكرة النيرفانا وهي أسمى فكرة تتوج المذهب البوذي، و النيرفانا لا يمكن تحديد معناها تحديدا صارما، وربما كان استعصاء الكلمة على التحليل شيئا مقصودا حتى يضفى عليها صفة القداسة، ويجعل الناس يبحثون عنها ويضعونها دائما أمامهم مثلا اعلي كلما اقتربوا منه ابتعد عنهم.

وفي عقيدة البراهمة تتحقق حالة "النيرفانا" عندما تستطيع النفس الفردية أن تتحد مع النفس العالمية في حالة شبيهة بالصوفية وفي مذاهب أخرى هندية تتحقق النيرفانا إذا استطاع الإنسان أن يحقق التوازن بين قواه الروحية وقواه المادية.

أما المذهب البوذي فإنه يعتبر"النيرفانا" نهاية المراحل التي يستطيع الحكيم فيها التغلب على شهواته، فهذه الكلمة معناها الحرفي"الإخماد".

وقد وضح بوذا معناها الخلقي والوحي بالرجوع إلى مثال حسي وهو انطفاء النار وخمودها لعدم وجود الوقود وبالمثل فإن الإنسان الذي لا يتغذى بنيران عواطفه المتأججة يصل في النهاية إلى إخماد هذه العواطف.[1]

النهاية إلى إخماد هذه العواطف أو تصبح حياته هادئة لا يقلقها إزعاج الشهوات وقد دهب البعض المفسدين إلى أن "النيرفان"في المذهب البوذي حاله لا تحتمل التحول أو الصيرورة ، وإذا كانت الصيرورة ليست ممكنة إلا إذا غنتها الدوافع الإنسانية المختلفة ،فمعنى دلك أننا لا نصل إلى النيرفان وهي انتفاء إلى لكل صيرورة إلا إذا أخمدنا كل فكرة دنيوية ، وكل إرادة مادية، أو كل شهوة حسية .

والآن يصح لنا أن نتساءل: هل النيرفان هي حالة السعادة أو حالة العدم ؟، فاذا كانت حالة السعادة الأبدية من الذي يتمتع بها إذا كانت الذات الإنسانية بحسب المذهب البوذي – وهمية وعابرة ؟ وإذا كانت على العكس حالة العدم فانه يتعذر علينا أن نوقف بين هدا المعنى وبين ما يشيع المذهب البوذي من إمكان الوصول إلى النيرفان في مرحلة الحياة الإنسانية.

---

(1)– السيد محمد البدوي، مرجع سابق، ص 31– 32. انظر إلى عبد الوهاب جعفر، مرجع سابق ، ص71 – 72.

وهذا السؤال المحير قد وجهه إتباع بوذا إلى زعيمهم، ولكنه احتمـــى من الإجابـــة عليه وراء الإدارية(agnosticisme).

والتقى بأن يشير إلى أن سلام الإنسان يجعل من الصندوري بالنسبة إليه إن يبحث عن "النيرفان " ولا يهم بعد دلك أن نعرف إذا كانت فكرة النيرفان تتصل بنوع من الوجود أو العدم ، وقد وضح بوذا هده الفكرة بذكر حالة إنسان أصابه سهم مسموم ،فهل يؤخر علاج نفسه حين يعرف يقين من الذي وجه إليه هدا السهم؟ انه إذا فعل دلك كانت النتيجة الموت المحقق.

وبالمثل فان كل إنسان منا يجب أن يبرا من أعزاء شيطان الشهوات saniarg ولا ينبغي أن ينتظر حتى يعرف تفاصيل عالم النيرفان بل يجب عليه أن يأخذ توا من أتباع طريق الحقائق الأربعة المقدسة ، وما عدا دلك من شانه إن يعطل الوصول إلى تحقيق طمأنينة النفس وسلامتها.

وإذا كان ما يقدم هو لب الفضائل البوذية وما تدعو إليه من مجاهدة اللذات وبواعثها ورياضة الإرادة على تركها جملة ،فالرذائل عند البوذيين منشؤها هو اللذات والانهماك فيها، وما تدعو إليه ، ونقيض ما تقدم من الأمور المستقيمة التي يتكون منها الممر الوسط هو رأس الرذائل وعماد الآلام ولدلك يرجع الرذائل إلى أصول ثلاثة:

- ✓ الاستسلام للملاذ فانه يجعل الحياة كلها في المستمر ، وفوق دلك يعكس نظر الأشياء في العقل والقلب، فكل نظر مغشي بغشاوة من الشهوات والرغبات والأحلام الفاسدة والأماني الكاذبة التي تبعث إليها اللذات المدحة.
- ✓ سوء النية في طلب الأشياء ، ودلك في استمكان اللدن في النفس ، فانا الغرض الفاسد يتحكم في طلب الإنسان للأشياء ، فلا يصير واضح المقصد بين الغاية لماله من مارب يطلبها ويسترها ، وغايات تدفعه ولا ينالها ، ويدفعه الكتمـان رغبة نيلها وتوقع الاعتدال بينه وبين غيره فيها، لدلك بسوء سوء النية فهو ادن وليد استمكان اللذة في القلب واستيلائها عليه، وهو أيضا أصل لكثير من الرذائل لحال غش والكذب والنميمة وغير ذلك.[1]
- ✓ الغباء وعدم إدراك الأمور على وجه الصحيح، وفي أكثر الأحيان يكون ذلك منشأه من زين الشهوات على النفس، وسدها سبيل الإدراك الصحيح فيصبح العقل ل يرى إلا ما تعكسه عليه، ويمتنع على النفس الإشراق الذي ينشأ من التجرد من الملاذ، والإلهام الذي يكون من هجر الشهوات.

---

(1)– محمد أبو زهرة،مرجع سابق، ص 63– 64.

وقد ذكر في كتب البوذية عشر رذائل، جاء النص عنها في تلك الكتب على صورة وصايا وهي لو أخذ التشخص نفسه بها، ورعاها حق رعايتها، كان في الأخذ بها.

- لا تقتل أحدا، ولا تقضي على حياة حب.
- لا تأخذ مالا يقدم إليك، فلا تسرق ولا تغضب.
- لا تكذب ولا تقل غير صحيح.
- لا تشرب خمرا، ولا تتناول مسكرا ما.
- لا تزن، ولا تأت أي أمر يتصل بالحياة التناسلية إذا كان محرما.
- لا تأكل طعاما نضج في غير أوانه.
- لا تتخذ طيبا، ولا تكلل رأسك بالزهر.
- لا ترقص، ولا تحضر مرقصا ولا حفل غناء.
- لا تفتن فراشا وثيرا، فلا تفتن أرائك فخمة، ولا وسائد ولا حشايا وثيرة.
- لا تأخذ ذهبا ولا فضة.

هذه الوصايا العشر التي يأخذ بها البوذي ليروض إرادته على ترك الملاذ والعكوف على المجاهدة وتهذيب الذات وتخفيف ويلات الحياة أو منها ترى أنهم يبحثون على عدم أخذ الذهب والفضة، كأنهم الأم الذي تظل عنده الأفهام، وتستيقظ حوله المطامع وكأنهما مدخر اللذة، لاستعانة الناس بهما في إختراع اللذات، و اجتناب الشهوات، ولهذا النهي عن اقتناء الذهب والفضة قال العلماء: إن البوذية تحث على عدم الملك، وتطالب البوذي ألا يملك شيئا ولا يقتني شيئا، فهو يطلب طعامه يوما بعد يوم، ولا يدخر من يومه إلى غده.

ولقد كان هذا سببا في أن ينقسم البوذيون إلى قسمين:

- **أولا: البوذيون الدينيون:** الذين اخذوا أنفسهم بالتعاليم السابقة لا يحبذون عنها قيد أنملة، وقيدوا أنفسهم بأنواع من الأطعمة لا يعيدونها، ويحرمون كل شيء غيرها، ولا يلبسون إلا خشن الثياب ولا يرضون إلا جشب العيش، لما رضوا أنفسهم عليه، من ترك كل لذات الحياة وراءهم ظهريا، ليستولوا عليها ويمتنعوا عن ألامها. [1]

(1)– محمد أبو زهرة، مرجع سابق، ص 64– 65.

- **ثانيا: البوديون المدنيون :** ولؤلئك هم البوذيون الدين لم يطيقوا تطبيق المنهاج الشاق الدية أخد بت الدينيون منهم، فاختاروه لأنفسهم طريقا وسطا ليس فيه احداط غير أنهم اليودية من تواضـــع وإيثار وحب الفداء، وصدق وأمانة وحلم وعلم وصفاء أو نألو بعض الملاذ التي لا تعقب ألما ، ولم يندفعوا فيها من حنة لا يصابوا بألم عند الحرمان [1] وفي الوقت الدية سلكوا فيه هدا المسلك أدوا إخوانهم الدينين أو أعانوهم على طريقتهم أو أمدوهم بالأسباب التي تعومنهم على الإيغال في مذهبهم، معتقدين إن من آمن ببوذا وتحلى بما يدعوا إليه من أخلاق وأوى رجال دين وأعانهم ،ثم تناول بعد دلك بعض متع هده الحياة فانه يصل إلى طريق من المناسب في ختام هدا العرض للمبدأ الخلقي في العقيدة اليودية إن نعقد مقارنة سريعة بينه وبين مدها شوينهاور الفيلسوف الألماني المتشائم، فالفكرة الأساسية في فلسفة شوينهاور ،كما هو ألحا في المذهب اليودي ، هي تلخيص الإنسان الدية قيدته الشهوات آلة عجلة أيكسون وعالم الحياة فينظر شوينهاور عذاب دائم وخزي يحس بت المرء في قراره نفسه وماكان هدا العالم ليتماسك ولا يبقى إلا بسبب إرادة الحياة العمياء، فيجب تحطيم هداه الإرادة عن طريق التأمل والتفكير وعن طريق إخماد كل شهوة تتحقق —كم قلت– حالة النيران في البودية.[2]

وهذه الحالة قد وصفها شوبنهاور في كتابه «العالم بوصفه إرادة وتصور »* يأيها السلام الدية لا يعكر صفوه شيء والهدوء العميق وطمأنينة النفس ، وهي حالة لا يسعنا إلا إن نتوق إلى تحقيقها حيث يهتدي أليها عقلنا وخيالنا ، لأنها دون سواها الحقيقة التي لا يشور بها زيف، وهي جديرة بان ترفعنا من قيود الكادة إلى عالم الروح السنيح ومما لاشك فيه إن المبدأ الخلقي في العقيـدة البودية يعتبر اصـــدق تعبير عما كتبـــه بروجســـون عن الأخـــلاق الفتوحـة أو الأخلاق الإنسانية تمييزا لها عن الأخلاق الاجتماعية أو المقفلة التي لا تخدم إلا إغراضا دنيوية و محلية.**

فالأخلاق الإنسانية تتجسد في شخصية فدة تصبح مثلا يقتدى و منارا يهتدى بهديه وقد عرفت الإنسانية قبل القديسين الأنبياء، فلاسفة الإغريق وحكماء الهند والصين والعجيب في سيرة هؤلاء الحكماء أنهم لا يطلبون شيئا ، ولكن تتحقق على أيديهم أشياء كثيرة.

أنهم لا يلجئون إلى القوة أو إلى الضغط ولكن حياتهم وحدها نداء لا يلبت إن يتردد صداه في نفوس الطوائف العديدة ، والأخلاق الإنسانية التي يمثلها حكماء.

---

(1)– ولقد اكتفى المدنيون بان يطيعوا من النواهي العشرة المتقدمة الخمسة الأولى فقط وهي النواهي عن القتل،السرقة، الكذب،السكر، أما خمسة النواهي الاهرى فهي خاصة بالمتدينين.

(2)– السيد محمد بدوي ، مرجع سابق، ص33– 34.

*** ايكسون : تقول الأساطير اليونانية إن ملك استضافه جوبيتر الاوليمب في مدينة الآلهة ولما ركبه الغرور أمر أبو الآلهة بان يقذف في النار، وان يقيد إلى العجلة ملتهبة تدور على الدوام.**

**** «العالم بوصفه إرادة وتصور» Le monde comme volant et Représentation.**

الإنسانية تعبر عن الحب الخالص الدية لا تشوبه ضغينة ولا حقد و وكما إن الشعور الدية يسيطر على الحكيم هو انطلاق الروح وثورتها على المواضع البالية وهدا الشعور بانطلاق الروح وتحررها هو سر السعادة، فهو لا يقيم وزنا للرفاهية المادية ولا للثورة بل انه بتخلصه من هده القيود يشعر بالراحة ثم بالغبطة والسعادة.

ولا يتوقف نجاح الحكيم على مقدرتهم في الوعظ والدعوة إلى حب الإنسانية وخيرها، فالعقل قد يقتنع بأشياء ولكنه لا ينفذها ، وشتانا بين ما يعيه العقل وما تنفذه الإرادة ولا يحفز الإرادة على العمل إلا الحمل، البطولة ليست في الأقوال وإنما في الأفعال ، وادن فحياة المصلح وسيرته وإعماله هي ما يحفز النـــاس إلى إتباعـــه والى الالتفاف حوله، وإذا ما أثرت فكرة العقبات المادية أمام النفس المنطلقة المتحررة ، فإنها لا تجيب على دلك بان العقبات يجب محاولة تفاديها أو التغلب عليها أو اقتحامها ، بل أنها تعلن في قوة إن العقبات لا وجود لها.

II .3 – تقيمنا للمذهب الأخلاقي البوذي:

II .1.3 – من الناحية النظرية:

عندما اطلعنا على المذهب بدا في ظاهرة لامعا جذابا لاحتوائه على إرشادات قويمة في شعبه الثمانية تتصل بمحاربة أهواء النفس ورغباتها في اجتناب اللذات، إذ قصد بها اللذات المحرمة وحدها، لان الاستغراق في اللذات يورث الآلام، فضلا عن الوصايا العشر الايجابية، وتقابلها الرذائل المنهي عن الاتصاف بها.

كل ذلك حسن، ويبدو في مظاهره أنيقا أخاذا، ولكن إذا دققنا النظر فيه وكانت لدينا فكرة عن النظم الأخلاقية المتكاملة، وجدنا المذهب البوذي يتهاوى ويتساقط أمامنا، وهاكم نتائج تأملنا المدقق للمذهب البوذي:

أ. تنقصه الفضائل المتنوعة يتنوع حياة الإنسانية في علاقتها المتشعبة، كالفضائل في العلاقات الاجتماعية، والفضائل العامة والعلاقات الدولية وأيضا في مجال الفضيلة الشخصية نفسها، كمبدأ "النية" باعتبارها لب العمل الأخلاقي.

ب. تنقصه أيضا ما يسمى في علم الأخلاق بعناصر الإلزام "أو وسائل الردع" وهي التي تلزم الناس بسلوك الطريق القويم أو تردع المنحرفين الخارجين عنها.

ج. ويخلوا المذهب أيضا من العقيدة التي لولها لما استطعنا إقامة بناء أخلاقي متكامل قد رأينا "بوذا" أميل إلى إنكار الإله، وكان يتحاشى كل ما يتصل يبحث ما وراء الطبيعة "أو عالم الغيب" فإنه جعل كل همه صرف إتباعه عن البحث في هذه القضايا وحثهم على الخوض فقط في أعمالهم ودواعيها وميولهم وعواطفهم[1].

ونحن نرى في ذلك هروبا من مواجهة الإجابات عن الأسئلة المنبعثة من بواعث النفس السوية، فضلا عن ضرورة العقيدة في أي مذهب أخلاقي، فهنالك من ألوان السلوك ما يكون الدوافع إليها بعيدا عن تحقيق أي تقع عاجل ويتضح ذلك في عقيدة الإسلام خاصة، كعقدانية والإخلاص في العمل ابتغاء مرضاة الله تعالى وأملا في ثوابه إلى جانب الترهيب من عقابه عز وجل، وسيتجلى ذلك بصورة أوضح واشمل إذا ما عرضنا للسمات الأخلاقية في الإسلام بعد أن نستكمل نقدنا للمذهب البوذي لتعذر تنفيذه كمنهج للحياة اليومية.

II .2.3 – من الناحية العملية (التطبيقية):

والآن نأتي إلى مرحلة التجريب فنحاول تنفيذ المنهج البوذي لإصلاح الأخلاقي فماذا نفعل لتحقيق السعادة المنشودة ونتخلص من الآلام.

إذا بدأنا في التنفيذ، فإن أول ما نلاحظه أن الطريقة البوذية أقرب إلى الخيال منها إلى الواقع، حيث تجمع بصورة تكار تشتتا به بين الاتجاه والإشراق والتفكير والاعتقاد وكلها ذات صيغة تأملية عقلية نظرية، يختلط فيها الإدراك بالخيال، فلا نقف أولا على حدود مميزة تعرفنا كيفية اجتياز مرحلة الاتجاه إلى مرحلة الإشراق ثم التفكير فالسلوك...الخ، هذا بينما يبدوا من الأمور الثمانية التي يتقيد بها الشخص في شؤون الحياة أنها على شكل مراحل متدرجة وإذا ما توقعنا لإعادة النظر ومحاولة التطبيق العملي مرة أخرى، اتضح لنا هذا الأمران العقلي التأملي المتخيل عند "بوذا" يفترض إسنانا آليا يسير على قضبان كالقاطرة وينتقل تلقائيا من محطـــة إلى أخـــرى، ويقطـــع مسافـــة ما، لينتقل إلى غيرها، فلا ينحرف يمينا أو يسارا بحكم طبيعة الخط الحديدي الذي حكم حركته.

وإذا سلمنا جدلا بإمكان نجاح البعض جزئيا في رياضة إرادته على النحو الذي اقترحه "بوذا"، فلا يصلح تعميم الحكم على صنوف البشر جميعا، رأي إذا صلح هذا البرنامج في مرحلة عمر الأسنان المتأخرة وبواسطة الرجال الحكماء والذين يغلبون صوت العقل وتضعف شهواتهم وانفعالاتهم، فلا يصلح لمرحلة الشباب المتسمة بالحيوية والنشاط المليئة بالآمال والطموحات، ومنه إذا أريد للأسنان أن يتجه دائما "الاتجاه الصحيح" فلابد من يوافقه من

---

(1)– أحمد شلبي، أديان الهند الكبرى، ب ط، مكتبة النهضة،1976، ص82– 83.

فطرته السوية التي خلق بها، لأن حرمان النفس من اللذائذ المباحة يمنعها من الاستمرار في الاتجاه الصحيح والحياة الصحيحة أيضا.

ومنه فالمنهج البوذي لا يصلح لتقويم الأخلاقي أو تدعيم النفس "المطمئنة" ولكن الذي يصلح منهج آخر "مفصل" بحكمة بالغة على تركيبة الأسنان الروحية والجسدية وملائم لأنشطته وحركاته، ويمدد بالذخيرة الإيمانية لمواصلة حياته مهما كانت طبيعتها.[1]

III- الأخلاق في العقيدة الكنفوشيوسية:

إن الباحث في التفكير الصيني يلاحظ انه يختلف تماما في نمط عما هو معروف من أنماط الفكر التي إلتقاه في الغرب والشرق على حد سواء وهذا الاختلاف يرتبط بالأسلوب والمنهج والأهداف فالأنماط الفكرية المألوفة تقوم على المنطق والإقناع العقلي وتبحث في حدود المعرفة وما وراء الطبيعة، في حين العقلية الصينية لا تستسيغ هذا النمط من التفكير و ربما كان ذلك بتأثير العوامل الطبيعية وظروف الحياة الواقعية، فإذا كان المنطق يتطلب صرامة لاستدلال ودقة البرهان الذي يصل إلى اليقين لا يأتيه الباطل أبدا فإن حكماء الصين كانوا يسمون دائما إلى تبسيط أرائهم بلغة سهلة تفهمها العامة ولا تقتصر على مخاطبة الصفوف، ومع ذلك فإن كانت الفلسفة الأخلاقية من أهم فروع الفكر الفلسفة في الغرب، فإننا لا نعلم دلك في الفلسفة الصينية على وجه الخصوص في كونفوشيوس حديثا عن " الطبيعة البشرية " " وطرائف السماء " وهو حديث أخلاقي ميثافيزيقي كما يتضح من عنوانه [2].

III .1- الكونفوشيوس: على أن واحدا من اكبر الحكماء و ظهر بع ذلك ليكون أعظم بمنطقة تشو على مقربة من نهر هوانجهو رجل اسمه تشوليانج هيه من أسرة جونج، وكان تشوليانج هيه من سلالة ملكية وكانت له القيادة على منطقة شوي بالقرب من النهر الأصفر غير بعيد من البحر الأصفر، من اجل هدا كان تشوليانج هيه يستطيع أن يكون رجلا سعيدا جدا ولكنه لم يكن كذلك فقد كان تشو من تزوجا وله تسع بنات ... والبنات عندما يكبرن يتزوجهن ويعبدن أسلاف أزواجهن كما تقتضي التقاليد ... وما تشو يريد كما يريد كل فرد من أبناء شعبه أن يكون له ولد يعيد روحه بعد مماته ولهذا لم يكن تشوليانج هيه سعيدا قط، ولكنه عندما بلغ السبعين من العمر أهدته زوجته الجديدة الصغيرة " تشينج سامي" ولدا وسماه تشيهو وأصبح تشيمو وهو في سن الثالثة وبرغم من أن تشوليانج هيه كان حاكما لإقليم تشو إلا انه عند موته ترك زوجته ضحية لفقر مدقع، ومع ذلك فقد استطاعت الأرملة أن تدير

---

(1)- مصطفى حلمي، الإسلام والأديان "دراسة مقارنة"، ط1،دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، 2004، ص83- 84.

(2)- عبد الوهاب جعفر: مرجع سابق، ص74.

آمر تعليم ابنها الوحيد تعليما طيبا وعندما اثني معلموه على اهتمامه بالدراسة وفهمه للأشياء التي كان الكبار أنفسهم يجدون صعوبة في فهمها امتلأت سعادة وفرح، واستمر تشيمو كونج يواصل دراسته ويواصل معها نموه العقلي وحكمته التي راحت تتزايد وتشتهر في جميع أنحاء الإقليم الذي يعيش فيه حيث بدا الناس بالتوافد من كل مكان ليتبادلوا معه الحديث وينصتوا إلى ما يقول.[1]

III .2 – تعاليمه:

قال كونفيوشيوس أمام تلاميذه:

"كنت في الخامسة عشرة من عمري مكبا على العلم، وفي الثلاثين وقفت ثابتا لا أتزعزع، وفي الأربعين زالت شكوكي، وفي الخمسين عرفت أوامر السماء، وفي الستين كانت أذني عضوا طبيعيا لتلك الحقيقة، وفي السبعين كان في وسعي أن أطيع ما يهواه قلبي دون أن يؤدي بي ذلك إلى تنكب طريق العدل والصواب.

وسأله تابع: هل من الصواب الرد على الإساءة بالأخرى.

أجاب بحدة: وبأي شيء إذن تجزي الإحسان؟ لتكن العدالة جزاء الإساءة... وليكن الإحسان جزاء الإحسان.

وعندما سئل هل يظن أن هناك حياة أخرى بعد الموت أجاب: إذا كنا لا نعرف شيئا عن الحياة فكيف نعرف شيئا عن الموت وما بعد الموت.

سأله أحد أتباعه: ما هو الحب.

أجاب: حبك للبشر هو الحب[2].

فسئل ولكن ماهو: قال كونفوشيوس: الاعتزاز بالجهة أكثر من الاعتزاز بالثمرة يمكن أن يسمى بالحب: إنه مجرد استمتاع بعمل شيء دون نظر إلى ثمرة نفسه والحب يجعل الأشياء تبدو جميلة... والحب يخلق السلام.

ولقد بلغ كنفوشيوس في تعاليمه مستوى أخلاقيا رفيعا كان له ابلغ الأثر في حياة بلاد الصين ومن بعض أقواله.

– «أليس رجلا فاضلا ذلك الذي لا يشعر بانزعاج حين يغض أقواله».

---

(1)– موسوعة الأديان في العالم" الديانات القديمة"،ص37– 44.

(2)– عبد الوهاب جعفر،مرجع سابق، ص 75.

- «أليس رجلا مناضلا ذلك الذي لا يشعر بانزعاج، حين يغض الناس الطرف عنه».

- «اجعلوا الأمانة والإخلاص من المبادئ الأولى».

- «إن الرجل الفاضل في كل شيء يحسب البر من الضرورات».

وقد وضع القاعدة الذهبية في صيغة السلب «لا تفعل بالآخرين مالا تريد أن يفعل بك»

وحين سمع أن «لا ويز» قال «جازو الشر بالخير» حار في أمره وقال: «جازو الشر بالخير! إذا بماذا نجازي الخير؟ جازوا الأذى بالعدل والخير بالخير» وربما كان هذا نقصا أدبيا في نظامه، فإن فضائله هي فضائل الإنسان الطبيعي في أحسن أوضاعه[1].

أما أن نجازي الشر بالخير، وهو شأن الله معنا، فظنه مقياسا أدبيا فوق طاقته ثم أن أخلاقياته ضعيفة من ناحية الخطية البشرية فهو يؤمن أن طبيعة الإنسان في أصلها صالحة، ولو اتبع موجباتها قادته إلى الصلاح، أما الخطأ فيعزوه إلى الجهل، وهو لم يدرك صراع بولس مع الجسد الذي تمثل في صرخات المجربين من البشر مدى الأجيال: «الذي لا أريده هذا افعله» والظاهر أن زميله الحكيم الصيني الآخر «لاوتز» تعمق إلى أبعد من هذا في الحياة البشرية، ولو أنه لم يكن ذا أثر كبير في بلاده[2].

والجدير بنا قبل أن نخوض في دراسة النظام الأخلاقي في العقيدة الكونفوشيسية أن نعطي لمحة عن نظرة بعض حكام الصين للأخلاق.

III .3 – رأي لوتس في الأخلاق:

يقول لوتس*: «أن الطبيعة تقدم كل شيء دون أن ننتظر شكرا أو أخرا، دون تفرقة أو تميز بذلك، دعنا نقابل الجميع بوجه واحد ونعامل كل الناس بالمساواة وإذا أمعنا النظر لوجدنا أن العمل ينجز ببراعة وسرعة أكثر، ولو توقفنا عن تعمد المحاولة وتوقفنا أن نبذل للحصول على الأشياء جهدا أكثر من اللازم حينئذ نستطيع التذوق الحقيقي للعالم. وأن الـ TE أي الفضيلة والقوة تكمن في TAO أي القانون الطبيعي:

---

(1)– سعيد حبيب، أديان العالم، ب ط ، دار التأليف والنشر للمكتبة الأسقفية، القاهرة، د ت،ص122– 123.

*** لوتس: Laotsu: هو رفيق كونفوشيوس الكبير، عاش في ق6 ق م، في الأرشيف الإمبراطوري في مدينة لوينج بمقاطعة هيشان Honan.**

(2)– نفسه، ص123.

ويقول أيضا لوتس: "انزعوا الشفقة واهجروا التمسك بنصوص الأخلاق من يستطيع الناس اكتشاف التعاطف الحقيقي بين الآباء والأبناء والحب".

والخطيئة الكبرى عند لوتس هي الرغبة واللعنة الكبرى هي عدم الرضا والحكم عند لوتس هو الإنسان الخجول والمتواضع الذي يسمعه الناس ويتفرجون عليه، وهو يتصرف أمامهم كطفل صغير بين الميلاد والموت والسعادة عند لوتس أصلها هي الشقاء ويمكن الشقاء تحت السعادة في نظره، ما الذي يعرف ما يخفيه المستقبل؟

فليس هناك أمانة فقد تصبح الأمانة خيانة والطيبة قد تصبح شعوذة، والرحمة عند لوتس تجلب النصر في المعارك وتؤدي إلى الصمود في الدفاع[1].

بالرحمة تنقدنا السماء وتحمينا.

III .4 – رأي منشيوس في الأخلاق: "الإنسانية والعدالة"

ادخل منشيوس من خلال تأكيده على العدالة، الاهتمام بالناس أي المين **MIN** في مقابل الجين.

ولم يكن لدى كونفوشيوس ما يقوله عن الشعب إلا أقل القليل في حين أصبح ضمان وصول الشعب إلى حقوقه هو واجب الأمير الأول عند منشيوس، ثم أن السماء في حارسة الشعب وهي تبدي استياءها وغضبها عندما يعاني الناس، وهذا التأكيد على أهمية خير الناس وسعادتهم في الكونفوشيسة، والفكرة التي تقول أن ذلك هو معيار الحاكم الفاضل كانت إحدى إسهامات منشيوس في "الطريق" ولقد كان لدى منشيوس الشيء الكثير ليقوله عـــن الاقتصاد، وعنده أن حلقة الاتصال بين الاقتصاد والأخلاق حلقة محكمة، فالذهـــن الثابت بـلا معيشة ثابتة أمـــر مستحيـــل، وهكذا يصبح هدف الحكومة، هو توفير ضرورات الحياة بكميات كافية، والرجل المهذب عند منشيوس هو الذي يكون مهذبا بحق، فلا يكفي أن قادرا على تحقيق الجين بل يجب أن يكافح لتحقيقها بالفعل، والامر الذي تتحقق فيه هذه الصفات، هو الذي يحقق اهداف الحكم الملكي الصحيح وهي رفاهية الدولة واستمرار الملك، وولاء العالم كله له.

إن الجين يتولد عنه السلطة أو القوة، وهي الهيئة أو المكانة والمصداقية، التي هي ضد المقابل للبا" **PA"** الحكم عن طريق القوة هما على النحو ضدين متعارضين، وسوف يصبح الحكم عن طريقة فضيلة عليا بدلا عن الحكم عن

---

[1]– لوتس،دين الصين الطريق إلى الفضيلة" TAO. TE CHING"، ب ط، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ترجمة علاء الديب، د ت، ص5– 24– 52– 67، (نص صيني مقدس).

طريق القوة، عاملا مؤثرا للغاية في التفكير السياسي الكنفوشي المتأخر أما الطاعة والولاء فهي تلقى تأثيرا خاصا عند منيشيوس.

وإذا كانت إحدى الفلسفات المعارضة تذهب إلى أن الناس ينبغي عليهم أن يحبوا بعضهم بعضا على قدر المساواة، فإن منسيوش يرى تعارضا بين الواجب الأسري الخاص وتدرج العواطف بأولويتها من حيث كبر السن والتماسك الاجتماعي الذي يكمل ذلك من حيث كبر السن والتماسك الاجتماعي الذي يكمل ذلك و بين حب البشرية بأسرها وهو الحب الذي رأى[1].

أنه يد مر التنظيم الاجتماعي لأسرة والدولة.

III .5 – النظام الأخلاقي في الكنفوشيوسية:

يجدر بنا قبل أن نتكلم على مذهب كونفوشيوس في الأخلاق أن يبين الظاهرة العامة في أخلاق الصينيين عامة والأخلاق التي سادت عصره والآراء الخلقية التي كانت سائدة قبل زمانه، لكي نكون على بينة من مدى أقواله، وما دفع إليها وما بعثه على قولها وخصوصا انه ما أدى بجديد في السلـــوك القويم ولكنـــه أحيا المقبـــور مـــن أراء سابقة، وأخذوا أنفسهم به من أخلاق.

اعتقد الصينيون مند أقدم عصورهم أن الأحداث الكونية تتبع الأخلاق التي تسود الناس وملوكهم، فكلما كان الاعتدال والانسجام والفضائل يسودان المعاملة بين الناس ويربطان العلاقات بينهم برباط من المودة والرحمة، فالكون سائر في فلكه من أي اضطراب ولكن إذا حاد الإنسان عن سمت الحق، والسلوك القويم إلى الفضيلة، واضطراب بعض ما في الكون لمخالفة القانون الأخلاقي، وما الزلازل وخسف الأرض وكسوف الشمس وخسوف القمر إلا إمارات لفساد خلقي، احدث ذلك الاضطراب الكوني، وإذا كـــان السلـــوك غـــير القـــويم يحـــدث الاضطـــــراب، والقحط، فالسلوك القويم يجلـــب الخير والبركـــات ويجعل كل ما في الكون يجـــيء على رغبة الإنسان، والسبب في ذلك أنهم كانوا يعتقدون أن المؤثرات في الأكوان ترجع إلى ثلاثة:

المين: MIN: الشعب العادي.

الجين: JEN: الطبقة الاستقراطية.

البا: PA: القوة البدنية أو الإكراه.

[1]– جفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب،عالم المعرفة، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة عبد الغفار مكاري، 1993، العدد: 197، ص 123.

أولها السماء ولها السلطان الأعلى، وثانيها الأرض لقبولها أحكام السماء وثالثها الإنسان بما يؤثر بإرادته، فإرادته الفضيلة وسلوكه سبيلها يجعل مظاهر الكون إلى خير الإنسان، فالجو يمتلئ بالنسيم العليل و الحرارة المنعشة والغيث المحي للنبات الأرض من غير أن يخرب العمران.

والإنسان مقطور على الخير عندهم، سالك الطريق القويم بوخلي وقطرية ولكنه مع الفطرة الخيرية من مستقبل مفكر لا تمنع فطرته من النزوع[1].

إلى الشر وسلوك والارتطام في حمأته، وذلك لإرادته المستقلة، اختيار و استيلاء الشهوات عليه، آم أنهم كانوا يؤمنون بالقضاء والقدر ويودعون الأحكام السماء، يجعلون للإرادة الإنسانية الشأن الأول، وذلك لأن الإرادة الإنسانية للخير أو للشر لها أثرها في الأكوان، ولان ألهتهم عادلة فزعموا أنها لعدلها تجعل مشيئتها في الكون على حسب عمل الإنسان أن خير له، وإن الشر فشر له، وان أفعال السماء المسببة لفعل الإنسان لا تقبل التخلف قط، وطريق الخير هو الاعتدال والاقتصاد في كل أفعال النفس وسجاياها فالقناعة مع الجد من غير استسلام فضيلة، واللبن من غير ضعف فضيلة، والرحمة مع العدل مع المسيء فضيلة أيضا، وكذلك التجمل مع السذاجة. وهكذا كل الفضائل أقصى الطرفين من إفراط وتفريط رذيلة، ويعدون الفضيلة طريق السعادة والرذيلة طريق الشقـاء، لأنه إذا كانت ألهتهم تغضب وترسل شواظا من نار على من يخالف قانون الأخلاق فالشقاء في المخالفة والسعادة في الموافقة.

والرحمة أخص ما يجب أن يسود النظر من صلات، فهو الرابطة التي تربط آحاد المجتمع بعضهم ببعض، وهي التي تجعل الناس متحابين سعداء من غير عنف زاجر ولا قانون مشدد، وان كانت الفضيلة في عمومها طريقا لسعادة الآحاد، فالرحمة أن تسود المجموع هي طريق سعادته، فالمجتمع السعيد من كانت الرحمة هي الوحدة المرابطة بين آحاده، وهي العلاقة المبينة حدود ما الإنسان وما عليه، والتي تسبب الرحمة عندهم هي العفو المطلق، والتسامح المطلق، بل الرحمة التي تسبب السعادة هي الرفق بالمجموع مع معاملة أهل السوء بما يستحقون من غير شطط ولا تفريط.

إذن فغاية الفضيلة في عمومها وخصوصها عند الكمال الإنساني والسعادة بين الإنسان، وإقامة بناء المجتمع على النواد والتراحم والتعاطف.

الكنرفوشيوسية: ديانة ومذهب فلسفي أسس حكيم الصين كونفوشيوس مستمدا عناصر كثيرة من العقائد السابقة، يقوم على مبادئ أخلاقية منها حسن العلاقة بين الأفراد، أو ضد الود في الأسرة، وحسن التعامل بين الرئيس والمرؤوس، واقترحت قيام حكومة عالية.

(1)– محمد ابو زهرة، مقارنات الأديان، الديانات القديمة، ص 70.

وقوانين الأخلاق لا تنفصل عن السياسة عند قدماء الصينيين فأقوم الأخلاق، هي أن الحاكم لا يمكن أن يحمل الناس على الحادة من غير أن يحمل نفسه عليها، وان الملك لا يسوس الناس نفسه بالأخلاق القويمة ينزل عليه غضب السماء، وينزع منه الملك كما بينا سابقا، فلا تسامح في قانون الأخلاق ولو كان الإثم ملكا وبهذا الشمر العدل قائما مع وتثنيتهم وعدم تدينهم بدين سماوي[1].

ولم تكن هذه الآراء فلسفة لخواصهم تدرس وتناقش وصولها، ولكن كـانت أمـــالا للناس كما هـــي آراء للعلماء، وبذلك كان مجتمع الصين القديم يسوده الخلق الكامل ردحا من الزمن ولكن خلف من بعدهم خلف لم يسلك طريق الأخلاق فحوالي القرن السابع قبل الميلاد.

حكمت الصين أسرة ارتكبت من الظلم والإثم ما أوقع الشعب في الفوضى والاضطراب، وجعل حكام الولايات يسيرون في طريق من الاستبداد في رعاياهم بغير مصالحهم.

والشعب الصيني نفسه انحدر إلى طريق الرذيلة والانحلال الخلقي وإذا تفاقم الشر وجمحت النفوس، وتفش الداء أعمل الفضلاء الجهد وأحس بعظم الشبعة، لذلك نجم في أخر القرن السابع قبل الميلاد وعقول جبارة، ضاعف الجهود وبذلك أقصى المجهودات، لكي ترجع الأخلاق الصينية إلى غابرها، و كانت دعوتها وحيا لعبقرية جبارة واستنباط لما استقر في أعماق القديم وأحياء للمدفون من كرائم العادات وكان ابرز هؤلاء لوتس وكونفشيوس.

ظهر كونفشيوس بعد لوتس: بعد أن جرب هذا كل أرائه في إصلاح المجتمع الصيني فلم يفلح إلا قليلا واضطر إلى أن يدعوا والانزواء والفرار إلى العزلة بذلك جاء كونفشيوس محاولا إصلاح ذلك المجتمع بغير لوتس، ويغير مذهبه وأرائه في الأخلاق تتجه إلى ثلاث نواحي:

الأولى: في بيان الأصل الخلقي الذي تقوم عليه الفضائل والثانية إصلاح المجتمع وحمله على السلوك القويم والثالثة إصلاح نظام الحكم والفضيلة لا يعدوها[2].

---

(1)– محمد أبو زهرة، مرجع سابق، ص 71– 72.

(2)– محمد أبو زهرة: مرجع سابق، ص 72– 73.

إذا كانت الفضيلة من دواعي الفطرة السليمة فطلبها من كمال الإنسانية، إن رهبة الخير الفطرية فيه وعلى ذلك يطلب الإنسان الفضيلة لإرجاء منفعة ولا دفعها لمضرة، ولا جلبا للذة، ولا دفعها لحرمان، ولكن يطلبها لأنها كمال إنساني فهو يقول في الفصل الرابع من كتاب الحوار[1].

الرجل الكامل الخلقي يطلب الفضيلة والرجل ناقص الخلق يطلب اللذة والرجل الكامل الخلق يفكر في اجتناب الرذيلة وأداء الواجب والرجل الناقص الخلق يفكر في كسب المنافع... والرجل الكامل الخلق واقف على البر، والرجل الناقص الخلق واقف على الريح.

نرجوا بهذه الكلمات أن نكون قد بينا فلسفة كونفوسيوش الخلقية ولننتقد إلى ناحية الثانية من نواحي آرائه: وهي محاولة إصلاح المجتمع وما تقدم نرى أن إصلاح المجتمع في نظره في غير أسير بل غير متعذر، وذلك أن يتمسك كل آحاده بقانون الأخلاق، ولكن كيف السبيل إلى حمل العامة على التمسك بقوانين الأخلاق؟ يرى ذلك غير عسير ولا بد من عاملين أحدهما دعوة الرجل إلى الأخلاق، وانغماره في الناس وثنيهما جعل القائمين بشؤون الحكم متمسكين بقوانين الأخلاق، ولنترك العنصر الثاني إلى موضع من الكلام على الناحية السياسية في آرائه الخلقية أما دعايته إلى الأخلاق الفاضلة فقد سلك فيها ثلاث مسالك:

المسلك الأولى: إنه دعى إلى احترام الآباء، والعناية بشدة إلى تماسك الأسرة، ولذلك ترى في كتبه عبارات كثيرة في الدعوى إلى احترام الآباء وجعل ذلك من أسس الكمال في نظره فهو يقول واجب الولد البر بأبويه إذا كان داخل المنزل، واحترام لذوي الإنسان إذا كان خارجا والصدق في أقواله، والرحمة بالناس بكل أفعاله، وأن يتقرب إلى الفضلاء وإذا كان لديه فراغ من الوقت جزاه في كتب الأخلاق ولا شك أن الشخص إذا عني بالبر بالوالدين العناية الكافية لم يكن منه في حضرتهما إلا ما يليق بالرجل الكامل.

المسلك الثاني: من مسالكه في الدعوة إلى الفضيلة مسلك التدرج فهو كان يدعو إلى الأخلاق في رفق، ويعطي كل واحد من الناس مقدار طاقته في دعوته، فهو يقول "ومن الناس من يستطيع محادثته في العلم، ولا يمكن أن نحمله على السير معنا بمقتضى الفكرة ومنه من نستطيع أن نسير بهم على الفطرة من غير أن يكون ذوي قدم ثابتة فيها ومنه ما يكون ذا خلق قويم شديد التمسك بالفطرة والكمال الإنساني".

---

[1]– يوازن العلماء بين رأي كانط الألماني في العصر الحديث ورأي كونفشيوس الصيني الذي عاش قبل الميلاد بأكثر من خمسة قرون فيجدون توافقا بين رأي الحكيمين في الأخلاق فكان بقدر ينبوع الخير في الإنسان بمقتضى الفكرة، لأن الإنسان يجد في نفسه دائما أن فعل ما لا يليق ولا يرتكب جريمة شاعرا بها إلا على نية ألا يعاودها وشعور القول الذي يكون في نفس كل إنسان.

المسلك الثالث: من مسالك دعوته إلى الخلق القويم القدوة والأسوة، فهو يرى أن الرجل الفاضل يستطيع أن يؤثر بسلوكه القويم أكثر من أي بيان مهما تكن بلاغته، ومن غير أن يهتم برياء في دعوته، ولقد كان يدعو تلاميذه إلى سلوك الخلق بأخلاقه، كما دعاهم بكلماته فهو الذي يقول لهم: "أتظنون أني أخفي عليكم شيئا، من أمر أعمله إلى فيه إرشادكم وهذه هي طريقتي في التربية"[1].

(1)– محمد أبو زهرة، مرجع سابق، ص 74– 75.